رباعيات الإمام البخاري

للأستاذ يوسف الكتاني

اعتنى أهل الحديث بتخريج عواليهم وتباروا في الوصول الى ارفعها درجة واسناها ، طلبا للاسناد العالي ورغبة في القرب من الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذلك لان علو الاسناد طريقة مرغوب فيها ونهج كان السلف يتزاحمون على سلوكه .

وقد كان اصحاب ابن مسعود يرحلون من الكوفة الى المدينة فيتعلمون من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويسمعون منه حتى قال الطوسي (1) . «قرب الاسناد قربة الى الله تعالى» . ولاجل ذلك اجمع ائمة الحديث على طلب الرحلة في سبيل علو الاسناد ليتحقق المعنى المقصود من الرواية وهو صحة المروي وذلك لايتم الا بالاسناد العالي .

كذلك فان علو السند يبعد الاسناد من الخلل قال ابن الصلاح : «والعلو يبعد الاسناد من الخلل لان كل واحد من رجاله يحتمل ان يقع الخلل من جهته سهوا او عمدا ففي قلتهم قلة جهات الخلل وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل وهذا اجلى واصح (2) . لذلك قام المحدثون بتخريج عواليهم فخرجوا الثلاثيات ، ثم الرباعيات ثم الخماسيات ، ثم السداسيات

---

(1) الفية السيوطي شرح محمد محـــي الدين عبد الحميد ص 260 .

(2) المصدر نفسه ص 260 .

ثم السباعيات ، ثم الثمانيات ، وكل ذلك تم قبل نهاية القرن السابع الهجري ، ثم خرجوا فيما بعد التساعيات والعشاريات كما اورد السيوطي في كتابه (النادريات من العشاريات) (3) . على اننا نجد عند المحدثين عوالي اخرى اعلى مما سبق من الثلاثيات وغيرها فهناك الوحدانيات والثنائيات (4) .

وقد افرد اهل الحديث عواليهم منذ الاول بكتب جمعتها وحفظتها منذ العهود الاولى للمحدثين والرواة نورد بعض هذه الكتب تأكيداً واستشهاداً على اهتمامهم باسانيدهم العالية .

نجد في الوحدانيات كتاب «الوحدانيات» (5) . لابي حنيفة الامام وقد جمعها ابو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري المقري الشافعي فيجزء

ومن الثنائيات : الثنائيات للامام مالك في الموطا وهي اعلى ماعنده. ومنها ثنائيات مالك للقصار :

ونجد من الثلاثيات :

ثلاثيات البخاري : وهي اثنان وعشرون ثلاثية جمعها الحافظ ابن حجر و «تخريج ثلاثيات البخاري» للشيخ عبد الحي الكتاني (6) وكتاب ثلاثيات البخاري «لشاه ولي الله الدهلوي الهندي» . ومنها «ثلاثيات البخاري» للبرهان ابراهيم الكوراني في جزء صغير (7) .

والرباعيات لابي عبد الله البخاري : وقد شرحها (بعضهم) في كتاب سماه (درر الدراري في رباعيات البخاري) (8) .

---

(3) فهرس الفهارس للكتاني ج 2 ص = 95 .

(4) الرسالة المستطرفة للحافظ محمد بن جعفر الكتاني ص 97 .

(5) الرسالة المستطرفة ص97 .

(6) فهرس الفهارس ج = 1 ص = 19 و 20 .

(7) فهرس الفهارس ج = 2 ص 23 .

(8) نسب هذا الكتاب صاحب كشف الظنون لاحمد بن محمد الشامي ج = 1 ص 832 .

الخماسيات لمسند العراق ابي الحسين البزار كما توجد خماسيـــات الدارقطني فـــي سننه .

والسداسيات لابي عبد الله بن احمد الرازي المعروف (بابن الخطاب) وهي من تخريج ابي طاهر السلفي .

وسداسيات التابعين لابي موسى محمد بن عمر المديني الاصبهانـــي المتوفي سنة 581 هـ (9) .

وسباعيات ابن العربي (10) : والسباعيات لابي القاسم ابن عساكر، والسباعيات لابي جعفر الصيدلاني .

والسباعيات لابي الفرج النجيب عبد اللطيف بن عبد المنعم ابن الصيقل (الحراني) الحنبلي المتوفي سنة 672 هـ وهو من تخريج الحافظ عز الديـــن أحمد بن محمد الحسيني .

ومنها «بغية الملتمس في سباعيات الامام مالك بن انس» للحافظ صلاح الدين كيكلدي ، وهو في ستة اجزاء اخرجها من كتاب الموطا (11) .

وكتاب الثمانيات للحافظ عز الدين الحسيني وهو في اربعة اجزاء .

ومنها «تحفة المستفيد فى الاحاديث الثمانيـــة الاسانيد» وهـــو لابي الحسين يحيى بن علي العطار (12) .

وكتاب التساعيات لرضى الدين ابراهـــيـم بن محمد الطبري المكـــي المتوفي سنة 722 هـ . والاربعون لعز الدين ابي عمر عبد العزيز بن جماعة الكناني الشافعي وهي من تخريج ابي جعفر محمد بن عبد اللطيف بـــــن الكويك الربعي وتبلغ اربعين حديثا .

---

(9) الرسالة المستطرفة ص 99 و 100 .

(10) فهرس الفهارس ج = 2 ص 382.

(11) المصدر السابق ج 1 ص 183 .

(12) الرسالة المستطرفة ص 100 .

«وكتاب الاربعين العشاريات الاسناد» «للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي (13) والعشاريات للترمذي والنسائي وكتاب الاربعين عشاريا للحافظ محمد بن جابر الودياشي والعشاريات للحافظ ابن حجر و«عشاريات الشيوخ للحافظ السخاوي (14) .

و «النادريات من العشاريات» للحافظ جلال الدين السيوطي جمع فيه ماوقع له عشاريا وهو ثلاثة احاديث : الى غير ذلك من الكتب الخالدة التي حفلت بها المكتبة الاسلامية والتي ضمت عوالي المحدثين .

ولما كان علو السند طريقا مرغوبا فيها عند المحدثين فقد كان السلف يتزاحمون ويتسابقون على نهجه وسبيلهم الى ذلك كثرة الرحلة والسفر طلبا للسند العالي لانه يحقق الغرض من الرواية .

وقد اكثر الامام البخاري الترحال الى الامصار والاقاليم واطال السفر الى الحواضر الاسلامية طلبا لعالي الاسناد ورغبة فيه وتحقيقا للمقصد الاسمى منه . قال الحافظ المزي (15) .

و «اكثر الحاكم من عد شيوخه (اي البخاري) وذكر البلاد التي دخلها ثم قال : «وانما سميت من كل ناحية جماعة من المتقدمين ليستدل على عالي اسناده . فان مسلم بن الحجاج لم يدرك احدا ممن سميتهم الا أهل نيسابور» .

ولذلك اجهد الامام البخاري نفسه وكان يقطع المراحل ويقصد الاقاليم مهما نات من اجل رواية حديث واحد او حديثين طلبا لسند عال قل رواته ورجاله وكان شديد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم (16) . واذا كان للامام البخاري فضل الريادة في علم الحديث باعتباره اول من صنف صحيح الحديث مجردا حتى اعتبر كتابه الجامع الصحيح اصح

---

(13) فهرس الفهارس ج = 2 ص 249 .

(14) الرسالة المستطرفة ص 101 وفهرس الفهارس ج = 2 ص 250 .

(15) طبقات الشافعية للسبكي ج = 2 ص = 2 .

(16) قواعد التحديث للقاسمي ص 108 علوم الحديث صبحي الصالح ص 236 .

كتاب بعد كتاب الله ولقب بأمير المؤمنين في الحديث (17) واعتبره مسلم «استاذ الاستاذين وطبيب الحديث في علله» كما اعتبر الترمذي الامام البخاري أعلم أهل عصره بمعرفة الاسانيد والعلل والتاريخ قال :

«لم ار بالعراق ولابخراسان في معرفة العلل والتاريخ ومعرفة الاسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل البخاري» .

لذلك جاء كتابه (الجامع الصحيح) نموذجا لكتب الحديث منذ الف في الصحيح وظل من اجل ذلك قبلة العلماء والمحدثين سواء في طريقته او الاسلوب الذي نهجه البخاري في جمعه وتاليفه وانتقاء الحديث الصحيح خاصة وانه خرج جامعه من ستمائة الف حديث مما صح عنده على شروطه وهو مالم يتعد سبعة آلاف حديث ونيف مما ورد في الصحيح ثم طول اناته في مدة تاليفه وبحثه الطويل الذي استمر ستة عشر عاما ، وفي طريقة اخذه للحديث وروايته عن الشيوخ الذين بلغوا الفا وثمانين نفسا ثم الى تعدد الامصار والاقاليم التي رحل اليها وقصدها من أجل رواية الحديث فانه لم يكتب في الجامع كل ماسمعه أو رواه ، كما لم يصح عنده كل ماتلقاه من الشيوخ بل كان يعمل عقله ونهجه وطريقته فيما ياخذ ويروي ويتثبت ويتحرى قبل ان يكتب في الصحيح (18) ، ومن حيث طريقته في التحديث امتاز البخاري بالبحث الدقيق عن الرواة الذين يأخذ عنهم ويسمع منهم وذلك من اجل معرفة منازعهم الفكرية واهوائهم السياسية وسيرتهم الخلقية .

كما كان يهتم اهتماما بالغا بالبحث عن كيفية اتصال الراوي بشيخه في الحديث والبحث عن متن الحديث وهل هو موافق للسنة ومما رواه الثقات مما جعل طريقة البحث عند البخاري والوسائل التي اتبعها والمنهج الذي التزمه منهجا علميا ومقياسا دقيقا لم يسبق اليه ولم يلحق فيه وحتى كان ابو الحسن المقدسي يقول في الرجل الذي يخرج عنه البخاري في

---

(17) حياة البخاري للقاسمي ص 11 .

(18) طبقات الشافعية ج = 2 ص = ˜

الصحيح «هذا جاز القنطرة» (19) .

من أجل ذلك كله لايوجد كتاب في الاسلام بعد كتاب الله العزيز اهتم به المسلمون اهتمامهم بالجامع الصحيح حفظا ودراسة وتعليقا وشرحا واستدراكا وترجمة الى غير ذلك من مظاهر العناية بكتاب الصحيح

وقد آثرت ان أشارك العلماء وأهل الحديث اهتمامهم وعنايتهم بكتاب الجامع الصحيح وادلي بدلوي فيه واربط نشاطي بنشاطهم وبحثي ببحثهم في مجال اكتشاف اوجه عبقرية هذا الرائد العظيم في كتابه الخالد الجامع واخترت ان ادرس موضوعا يتعلق برجال اسناده كما يتعلق بمتون احاديثه سواء في اسانيده الرباعية او متونه الرباعية وهو موضوع مبتكر جديد ندر من الف فيه او بحث عنه من المحدثين والعلماء ، وقد قسمت هذا البحث الى ثلاثة اقسام :

1) رباعيات البخاري في السند اي في رواية الحديث او الاسانيد الرباعية.
2) رباعيات البخاري في المتن او المتون الرباعية .
3) رباعيات البخاري في وصيته .

رباعيات البخاري في السند :

المقصود برباعيات الامام البخاري في السند اي في رواية الحديث او مانسميه الاسانيد الرباعية ، هي الاحاديث التي تكون اسانيدها رباعية، اي ان يكون بين البخاري اي قوله ، وبين حديث النبي صلى الله عليه وسلم أربعة رواة . أو هو مااتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديث بأربعة رواة .

وذلك بان يروي الحديث اربعة من الصحابة او التابعين بعضهم عن بعض في سند لمتن واحد .

مثاله حديث البخاري (20) في «كتاب الايمان» من باب : «دعاؤكم

(19) الامام البخاري محدثا وفقيها للدكتور الحسيني ص 14
(20) الحديث السابع من الجامع الصحيح ج = 1 ص 77 شرح الكرماني .

ايمانكم» .

حدثنا عبيد الله بن موسى (1) قال : اخبرنا حنظلة بن ابي سفيان(2) عن عكرمة بن خالد (3) عن ابن عمر (4) رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«بني الاسلام على خمس ، شهادة أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان» . آ

وكحديث البخاري (21) في «كتاب الايمان» باب «علامة الايمان حب الانصار» .

حدثنا ابو الوالد (1) قال حدثنا شعبة (2) قال اخبرني عبد الله بن جبر (3) قال سمعت انسا (4) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار .

فهذان الحديثان الواردان في صحيح الامام البخاري رواهما اربعة رجال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون بين البخاري وبين النبي صلى الله عليه وسلم رواة اربعة :

واذا كان اطول اسانيد البخاري التساعيات فان اعلى ما للبخاري في صحيحه الثلاثيات كما ذكر محمد ابن عبد الرحمان الكزبري (22) .

أما ثلاثيات البخاري فقد درسها أهل الحديث واهتموا بها والفوا فيها وجمعوها واشهر من قام بذلك الحافظ ابن حجر كما اشرنا سابقا في المدخل .

وأما رباعيات البخاري في الجامع الصحيح فلانجد من اهتم بها او الف فيها او جمعها الا النادر القليل على عكس الامر في الثلاثيات وقد ذكر حافظ

---

(21) الحديث السادس عشر من الجامع الصحيح ج = 1 ص 102 و 103 شرح الكرماني .

(22) فتح الباري لابن حجر - اجلى مسانيد الرحمان في اعلى اسانيد علي بن سليمان للبجمعوي الدمناتي ص 20 .

المغرب محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة (23) ان لابي عبد الله البخاري رباعيات وقد شرحها (بعضهم) في كتاب سماه «درر الدراري في شرح رباعيات البخاري» ولم يذكر مؤلفه بل عبر عنه «وقد شرحها بعضهم» بينما نجد حاجي خليفة في «كشف الظنون» (24) ذكر الكتاب نفسه وسماه «درر الدراري في شرح رباعيات البخاري» او «الدرر الدراري» وسمى مؤلفه وهو احمد بن محمد الشامي الشافعي .

وقد اورد صاحب كشف الظنون بان اولها هو : «الحمد لله الذي نزل احسن الحديث ، استخرجهامن الجامع الصحيح مستمدا من شرح الكرماني وتنقيح الزركشي مع زيادات» .

كما ذكر صاحب كشف الظنون رباعيات اخرى غير هذا الكتاب ولكنها لاتتعلق بكتاب الجامع الصحيح .

كما نجد كتابا آخر في رباعيات البخاري جاء في «فهرس الفهارس» (25) وهو كتاب «جناح الجناح بالعوالي الصحاح» ويسمى ايضا «لوامع اللآلي في الاربعين العوالي» (26) للبرهان ابراهيم الكوراني المدني المجدد على رأس المائة الحادية عشرة للهجرة .

«وقد خرج الكوراني في جناح الجناح اربعين حديثا من العوالي الصحاح وقدمها بمقدمات في شرف اصحاب الحديث وطرق حديث من حفظ على امتي اربعين حديثا ثم اتى بالعشاريات السيوطية ، باسناده الموصل الى السيوطي ، ثم ترجمة البخاري وتفريع اسانيده اليه من طريق ابي ذر والمعمرين وغيرهم ثم ساق حديثا من رباعيات البخاري ، ثم اتى بخاتمة اشتملت على تنبيهات ساق فيها ثلاثيات البخاري ثم اتى

---

(23) الرسالة المستطرفة ص 98 .

(24) كشف الظنون ج 1 ص 832 .

(25) فهرس الفهارس ج = 1 ص 229 و ص 372 .

(26) ذكر هذا الكتاب ايضا البجمعوي الدمناتي في كتابه اجلي مساند على الرحمان في اعلى اساند علي بن سليمان ص 20 .

بعشرين حديثا مسلسلا بالصوفية وهو في نحو ثلاثة كراريس مفيد جـدا لطالب هذا الشأن اتمه سنة 1083» (27) ، وقد ذكر عمنا الشيخ عبد الحي الكتاني ان بمكتبته نسخة من هذا الكتاب المخطوط اخذت من النسخة التي ارسلها المؤلف هدية الى الشيخين عبد الرحمن ومحمد ابني عبد الـقـادر الفاسي ، الا انني لما بحثت عنها بين كتبه بالمكتبة العامة لم اعثر لـهـا على اثر للاسف الشديد (28) .

ونجد للبخاري ايضا نوعا من الرباعيات في رواية الحديث ملحقـة بالثلاثيات وهي حديثان فقط :

وذلك ان يروي الحديث تابعي عن تابعي عن الصحابي او صحابـي عن صحابي فيحسب التابعيان او الصحابيان في درجة واحدة فهما اثنان في حكم الواحد فاذا كان منهم راو اخذ عنه المؤلف يقال فيه رباعي في حكم الثلاثي ، وهذا السند يكون مشتملا على اربعة رجال مـنـهم صحابيـان اوتابعيان فيكون من حيث العدد رباعيا ومن حيث النوع ملحقا بالثلاثي .

ولانجد غير هذين الكتابين المذكورين آنـفـا فيما يتعلق برباعيـات البخاري من حيث السند اي كتاب آخر يتعلق بها او يهتم بها علـى ان الكتابين المذكورين نفسهما لم نعثر على اي واحد منهما بمكتباتنا العامة او الخاصة بعد طول التتبع والتنقيب .

هذا وقد تصديت بالبحث والاستقصاء والتتبع والدراسة الجامـع الصحيح فاستخرجت رباعيات البخاري من حيث الرواية ، وقمت بجمعها وترتيبها كي يكون لي فضل جمعها ونشرها واستخراجها والتصنيف فيها، لذا اطلت قراءة البخاري ودراسته وتـكـررت تلك القراءة والمراجعة ، وكلما اعدت القراءة والمراجعة اكتشفت رباعية جديدة ، ولذلك رجعت الى نسخ كثيرة من الجامع الصحيح قديمها وحديثها في اثناء دراستي الطويلة للجامع ، غير اني اعتمدت في تجريد الرباعـيـات وتخريجها على شـرح

---

(27) فهرس الفهارس ج = 1 ص 229 و 230 .

(28) المصدر السابق .

الكرماني لصحيح البخاري وهو المسمى «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» .

2) رباعيات البخاري في المتن :

المقصود برباعيات البخاري في المتن او المتون الرباعية هي الاحاديث التي تضمنت متونها اي قول النبي صلى الله عليه وسلم اربعة امورسواء كانت اوامر او نواهي او حالات او اوصافا او اشراطا او خلالا او تعودا او دعوات او غيرها وذلك بان يشتمل كل متن على اربعة امور منها مما يجعله حديثا رباعيا من حيث المتن من دون التفات الى سنده او عدد رواته وانما المدار في أعتباره رباعيا على متنه :

وللتوضيح نورد امثلة منها :

حديث البخاري (29) (كتاب الايمان) باب علامة المنافق . قال :

حدثنا قبيصة بن عقبة : قال حدثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «اربع من كن فيه ، كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت خصلةمن النفاق حتى يدعها» .

1) اذا اؤتمن خان . 2) واذا حدث كذب . 3) واذا عاهد غدر . 4) واذا خاصم فجر .

فهذا الحديث الشريف تضمن متنه : اي قول النبي صلى الله عليه وسلم صفات المنافق وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم اربعة خصال وهي : خيانة الامانة والكذب والغدر والفجور ، وان من كانت فيه واحدة من تلك الخصال كان منافقا واتصف بصفات النفاق حتى يتركها .

ونجد في «كتاب العلم» في كتاب رفع العلم وظهور الجهل ، حديثا رباعيا في متنه قال البخاري :

---

(29) الحديث الثالث والثلاثون من الجامع الصحيح ج 1 ص 147 و 150 و 151 و 152 .

حدثنا عمران بن ميسرة قال حدثنا عبد الوارث عن ابي القياح عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان من اشراط الساعة :

1) ان يرفع العلم . 2) ويثبت الجهل . 3) ويشرب الخمر . 4) ويظهر الزنا .

فهذا الحديث (30) الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن ذكر اشراط الساعة وهي اربعة كما بينها وعددها رسول الله صلى الله عليه وسلم : رفع العلم ، وثبوت الجهل ، وشرب الخمر ، وظهورالزنا

ثم نجد مثلا آخر لهذه الرباعيات في (كتاب مواقيت الصلاة) (باب منيبين اليه) قال البخاري : (31) .

حدثنا قتيبة بن سعيد قال : حدثنا عباد هو ابن عباد ، عن ابي جمرة عن ابن عباس ، قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : انا من هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل اليك الا في الشهر الحرام فمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو اليه من وراءنا فقال :

آمركم بأربع وانهاكم عن اربع :

1) الايمان بالله ثم فسرها لهم شهادة ان لااله الا الله واني رسول الله .

2) واقامة الصلاة .

3) وايتاء الزكاة .

4) وان تؤدوا الي خمس ما غنمتم

وأنهى عن :

1) الدباء . 2) والحنتم . 3) والمقير . 4) والنقير .

---

(30) الحديث الثامن والسبعون من الجامع الصحيح ج = 2 ص 59 و 60 ، ومن لطائفه انه جمع بين النوعين فهو رباعي السند والمتن .

(31) الحديث الخمسمائة وواحد ج 4 ص 176 و 177 .

فهذا الحديث اشتمل متنه على اوامر اربع ونواهي اربع وهي : الايمان واقامة الصلاة وايتاء الزكاة واداء خمس الغنائم ، امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس ان يؤتوها ونهاهم عن امور اربعة عليهم ان يتجنبوها ومن مزايا هذا الحديث ان التصريح وارد فيه بلفظ اربع مما يؤكد رباعيته .

ونورد مثالا رابعا لهذه الرباعيات وهو حديث (32) في كتاب فضل الصلاة (باب مسجد بيت المقدس) .

قال البخاري :

«حدثنا ابو الوالد حدثنا شعبة عن عبد الملك ، سمعت قزعة مولى زياد قال : سمعت ابا سعيد الخدري رضي الله عنه يحدث باربع عن النبي صلى الله عليه فأعجبني واتقنني قال :

1) لاتسافر المرأة يومين الامعها زوجها او ذو محرم .
2) ولاصوم في يومين : الفطر والاضحى .
3) ولاصلاة بعد صلاتين بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب .
4) ولاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ومسجدي .

فهذا الحديث تضمن اربعة امور حدث بها ابوسعيد الخدري سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم اعجبته وافرحته فحفظها ورواها عنه .

فهذه امثلة اربعة لاحاديث متونها رباعية تضمن الاول منها اربعة خصال للمنافقين واشتمل الثاني على اشراط الساعة الاربعة وتضمن الثالث اربعة اوامر ونواه وجهها النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس جوابا على سؤالهم .

---

(32) الحديث السابع والعشرون ومائة وبعد الألف ج 7 ص 17 .

وتضمن النقل الرابع امورا اربعة سمعها ابو سعيد الخدري من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها عنه ونقلها الى الامة .

هذا ولانجد فيما نعلم من الكتب التي الفت في رباعيات الامام البخاري والتي لانعرف عنها شيئا عدا اسماء مؤلفيها ، لانجد فيها هذا النوع من الرباعيات المتعلقة بمتون الحديث «فكتاب رباعيات ابي عبد الله البخاري» (33) الذي شرحه احمد بن محمد الشامي الشافعي في كتابه «درر الدراري في شرح رباعيات البخاي» (34) . هذا الكتاب ليس بين ايدينا وليس بموجود حتى نطلع عليه ولكننا نستطيع ان نستشف ماجاء فيه وانه يتعلق برباعيات السند من جهتين :

ا ـ ان الذي ذكره واثبته هو الحافظ محمد بن جعفر الكتاني في الرسالة المستطرفة وقد نص عليه في كتب عوالي المحدثين واثر كتب الثلاثيات وهي تتعلق بالسند مما يؤكد ان كتاب رباعيات البخاري يتعلق بالنوع الاول من الرباعيات وهي الاسانيد الرباعية .

ب ـ ويفهم ذلك مما نقله حاجي خليفة في كشف الظنون عن كتاب شرح الرباعيات ، درر الدراري بان اوله هو الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث استخرجها اي الرباعيات ، من الجامع الصحيح مستمدا من شرح الكرماني وتنقيح الزركشي مع زيادات ..(35) كذلك الامر بالنسبة للكتاب الثاني من الرباعيات وهو «جناح الجناح في العوالي الصحاح» للبرهان ابراهيم الكوراني والذي ذكره صاحب فهرس الفهارس (36) وترجم له كما نص عليه علي بن سليمان الدمناتي البجمعوي في فهرسته .

نجد هذا الكتاب ايضا يتعلق برباعيات البخاري في السند بدليل عنوانه وتسميته «جناح الجناح في العوالي الصحاح» او في عنوانه الآخر

---

(33) الرسالة المستطرفة ص 98 .

(34) كشف الظنون ج 1 ص 832 .

(35) المصدر السابق .

(36) فهرس الفهارس ج 1 ص 229 و 372 .

«لوامع اللآلي في الاربعين العوالي» يؤكد ذلك التعليق الذي كتبه الدمناتي المذكور عن الكتاب في سياق كلامه على عوالي البخاري حيث ذكره اثر الكلام على ثلاثيات البخاري وهي تتعلق بالسند ثم اتى بكلام الحافظ ابن حجر عن عوالي البخاري ودرجاتها الى التساعيات .

قال الدمناتي في فهرسته (37 .

«ثم برسالة الشيخ الامير قال :

أطول اسانيده التساعيات قال محمد بن عبد الرحمان الكزبري أعلى ما للبخاري بصحيحه الثلاثيات كما سبق ، جمعها ابن حجر فبلغت اثنين وعشرين حديثا ، ثم الرباعيات جمعها الشيخ ابراهيم الملا فبلغت اربعين حديثا ضمها للثلاثيات سماه «لوامع اللآلي في الاربعين العوالي» ثم التساعيات وهي انزل ماعنده ...»

وواضح من كلام الدمناتي البجمعوي ان كتاب الكوراني يتعلق برباعيات السند خاصة وقد اردف كلامه عن الكوراني بذلك آخر الثلاثيات بسنده الى الملا ابراهيم الى البخاري ثم ذكر حديثا رباعيا للكوراني وهو حديث انس (38) وبذلك يتأكد اذننا اول من كتب عن رباعيات البخاري من حيث المتن اوما سميناه بالمتون الرباعية في صحيح البخاري وأول من استخرجها من تضاعيف الجامع الصحيح من دون ان نرجع الى كتاب فيها اعتمادا على جهودنا .

ومن لطائف هذا النوع من الرباعيات نجد احاديث جمعت بين النوعين اي رباعية السند والمتن في آن واحد منها حديث البخاري (39) في كتاب بدء الخلق «باب وفد عبد القيس» :

حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، عن ابي جمرة : سمعت ابن

---

(37) اجلى مسانيد على الرحمان في اعلى اسانيد علي بن سليمان للبجمعوي الدمناتي ص 20 .

(38) المصدر السابق .

(39) الحديث السبعون بعد الالف الرابعة ج 16 ص 189 .

عباس يقول : قدم وفد عبد القيس على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يارسول الله ان هذا الحي من ربيعة وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر فلسنا نخلص اليك الا في حرام فمرنا بأشياء نأخذ بها وندعو اليها من وراءنا قال :

آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع :

الايمان بالله شهادة ان لااله الا الله وعقد واحدة ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وان تؤدوا لله خمس ماغنمتم .

وانهاكم عن «الدباء والنقير والحنتم والمزفت» .

فهذا الحديث الشريف رواه اربعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هو واضح من سند الحديث كما ان متن الحديث تضمن اربعة اوامر واربع نواه صادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس عندما سألوه ان يأمرهم بأشياء يأخذونها عنه ويدعون اليها عشيرتهم فهو حديث رباعي السند والمتن .

ويوجد من بين الاحاديث الرباعية المتون أحاديث من هذاالنوع سنشير اليها عند النص على الرباعيات بالهامش .

هذا وقد تتبعت بالبحث والدرس والاستقصاء كتب الصحيح وأبوابه باحثا منقبا عن الاحاديث الرباعية المتون فاستخرجتها ورتبتها فبلغت واحدا وأربعين حديثا .

3) رباعيات البخاري في وصيته :

هذه الرباعيات لاتتعلق بصحيح البخاري فهي ليست رباعيات سند ولا رباعيات متن اذ لاصلة لها باسانيد الصحيح ولا بمتونه .

وهي صنف ثالث من الرباعيات استخرجناه من وصية الامام البخاري لطالب الحديث وقد سميناها رباعيات البخاري في وصيته الادبية اعتمادا على نص الوصية نفسها والتي جاء فيها اسم الرباعيات تصريحا كما قال البخاري بالحرف :

«وكل هذه الرباعيات لاتتم له الا بأربع ...»

ورباعيات البخاري في وصيته عبارة عن جملة من المعاني تتعلق بطلب الحديث وهي شروط رباعية شرط الامام البخاري توفر طالب الحديث عليها والتزامه بها ليصير محدثا كاملا .

وهذه الوصية الرباعية تعتبر وثيقة علمية منهجية فريدة اشتملت على شروط المحدث وماينبغي ان يلم بـه ويعلمه ليصبح من المحدثين الكبار .

ونظرا لاهميتها العلمية والمنهجية فسنـورد نص الوصية بأكملـها بالاسناد الكامل لروايتها المعتمدين وعلى رأسهم القاضي عياض ثم نفصل الكلام عنها ونناقش ماورد فيها بعد ان نقوم بتخريج رباعياتها وتقسيمها.

ذلك ان أغلب المحدثين والذين ارخوا للامام البخاري وكتبوا عـن جامعه الصحيح وآثاره اسندوا له هذه الوصية الرباعية التي تضمنت شروطا وامورا لابد منها ـ للمحدث ليصير محدثا كاملا .

ونجد اقدم من نقل هذه الوصية ورواها باسناده الى الامام البخاري القاضي عياض وهو من أهل القرن السادس الهجري (476ـ544) وذلك في فهرسته المسماة «الغنية» (40) في اثناء ترجمته للقاضي ابي بكر محمد ابن عبد الله المعافري المعروف بابن العربي ، ذكرها ضمن مروياته وما اخذ عنه ، وعن القاضي عياض سنورد نص الوصية لكونـه اقـدم من رواها بالسند المتصل الى الامام البخاري فيما نعلم . وروى هذه الوصيةالرباعية وذكرها غير القاضيعياض كثيرون من مختلفالعصور في القديم والحديث نذكر منهم :

المقري «في نفح الطيب» (41) والحافظ السيوطي باسناده في «تدريب الراوي في معرفة آداب طالب الحديث» (42) كما اوردها الامام القسطلاني

---

(40) الغنية فهرست القاضي عيـاض ص 30 الى 33 ، وهو مخطوط توجد نسخـة منه بمكتبتي .

(41) نفح الطيب للمقري ج = 2 ص 576 و 577 .

(42) تدريب الراوي للسيوطي ص 182 و 183 .

في «ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري» (43) في «لطيفته» اواخر الفصل الثالث من كتابه اسندها بالرواية» «عن الحافظ نجم الدين ابن الحافظ تقي الدين ابي المعالي محب الدين المكيان الى ابي المظفر محمد بن احمد بن حامد بن الفضل البخاري ... الخ .

وعن هؤلاء نقل كثير من المعاصرين ممن درسوا البخاري وترجموا له اوكتبوا عنه سواء في «الختمات» او التراجم او الفهارس او الرسائل العلمية نذكر منهم :

جدنا الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني فقد ذكرها في «ختمة البخاري (44) واسندها في قوله :

وعجيب ماأوتيه من دقيق الاستنباط كما اجاب من طلب علم الحديث بان المحدث لايكمل في محدثيته الا ان كتبها من مثلها كمثلها في مثلها عند مثلها بمثلها عن مثلها لمثلها ، ولايتم ذلك الا بمثلها مع مثلها فيهون عليه حيئنذ مثلها ويبقى بمثلها فاذا صبر اكرمه الله بمثلها في الدنيا واثابه في الأخرة بمثلها . والاصل في هذا الرمز ماورويناه بسندنا الى كتب الاسيوطي عن مولانا الوالد عن ابي اسحاق ابراهيم السقا القاهري عن المعتمد السيد تعيلب عن الجوهري عن عبد الله بن سالم البصري عن محمد بن علاء الدين البابلي عن سالم السنهوري عن الشمس العقمي عن الحافظ السيوطي في شرح التقريب رواه بسنده الى ابن المظفر محمد ابن احمد بن حامد البخاري الخ» .

وذكرها الشيخ محمد زكريا الكانوهلوي الهندي في كتابه مقدمة لامع الدراري على جامع البخاري (45) .

وروى الكانوهلوي الهندي نفسه عن السيوطي بيتا في الفيتة عن

---

(43) ارشاد الساري للقسطلاني ج 1 ص 18 و 19 .

(44) ختمة البخاري للشيخ محمد بن الكبير الكتاني ص 94 و 96 .

(45) مقدمة لامع الدراري للشيخ محمد زكريا الكانوهلوي ص 7 .

وصية الامام البخاري الرباعية : (46)

وللبخاري رباعيات في طالب الحديث نيرات (47) ، كما اوردها الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم في اطروحته التي سماها الامام البخاري محدثا وفقيها (48) فقد ذكرها بنصها دون تعليق عليها ، كمانجد للشيخ محمد بن المدني بن الحسني رسالة حول وصيّة البخاري الرباعية سماها «الفوائد الابداعية من فوائد وصية البخاري الرباعية» وهي مخطوطة لم تطبع (49) .

وننقل نص الوصية كما رواها (القاضي عياض) في «الغذية» (50) بسنده المتصل قال في اثناء ترجمته للقاضي ابي بكر المعافري بعد ماذكر ماقرأ عليه من الكتب واجازته له بجميع مرويّاته وعن الاماكن التي لقيه بها وخاصة اشبيلية وقرطبة ثم قال :

... «ومما كتبت عنه – ابن العربي – مما حدثني به سماعا عنه بلفظه ، نا ابو محمد هبة الله بن محمد الاكفاني ناعبد العزيز بن احمد الكتاني الدمشقي الحافظ نا ابو عصمة نوح بن نصر الفرغاني ، قال : سمعت ابا المظفر عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مت الخزرجي وابا بكر محمد بن عيسى البخاري فكانا يقولان :

سمعنا ابا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول : لما عزل ابو العباس الوليد بن زيد الهمداني عن قضاء الري ورد بخارى سنة ثمان عشر وثلاثمائة لتجديد مودة كانت بينه وبين ابي الفضل البلعمي فنزل

---

(46) المصدر السابق نفسه

(47) الغنية السيوطي .

(48) الامام البخاري محدثا وفقيها ص 157 و 158 .

(49) هذه الرسالة حدثني عنها ولد المؤلف المرحوم سيدي عبد الكريم ، وابديت له رغبتي في الاطلاع عليها غير انه ظل يمهلني الى ان توفي رحمه الله دون ان اتمكن من الاطلاع عليها .

(50) الغنية ص 30 الى 33 .

في جوارنا فحملني اليه معلمي ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الختـــلي وقــال لــه :

أسألك ان تحدث هذا الصبي ، كما سمعت من مشايخك قال : ما لــي سماع ، قال : فكيف وانت (فقيه) فماهــذا ؟ قال : لاني لمـا بلغت مبلــغ الرجال تاقت نفسي الى معرفة الحديث و (دراية) الاخبار وسماعها .

فقصدت «محمد بن اسماعيل البخاري» ببخارى صاحب التاريـــــخ والمنظور اليه في معرفة الحديث واعلمته بمرادي وسألته الاقبال عــلى ذلك فقال لي : يا بني لا تدخل في أمر الا بعد معرفة حدوده والوقوف على (مقداره) فقلت له : عرفني رحمك الله حدود ما قصدتك له ومقادير مـا سألتك عنه فقال لي :

أعلم ان الرجــل لايصيــر محدثــا كاملا فــي حديثه الا بعد ان يكتب اربعا مع اربع مثل اربع في اربع عند اربع باربع على اربـع عـن اربــــع لاربــــع .

وكل هذه الرباعيات لا تتم له الا بأربع مع أربع فاذا تمت له هــــان عليه أربع وابتلى بأربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله بأربع واثابه فـــي الآخرة بأربع قلت له : فسر لي ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب (صافي) بشرح (كافي) وبيان (شافي) طلبا للاجر الوافي فقال :

نعم اما الاربعة التي تحتاج الى كتبها هي : اخبــار الرســول عليـــه السلام وشرائعه والصحابة ومقادرهم والتابعين واحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم مع اسماء رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مــع الخطب والدعاء مع (الرسول) والبسملة مع الســـورة والتكبير مـــع الصلوات مثل المستندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات فيصغره وفي ادراكه و (في كهولته) وفي شبابه عند فراغه وعند شغله ، وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار والبلدان ، والبراري ، على الاحجــار والاصــداف والجلود والاكتاف ، الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه وعن كتاب ابيه يتيقن انه بخط ابيه دون غيــره . لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته والعمل بما وافق كتاب الله تعالى

منها ، ونشرها بين طالبيها ومحبيها والتآليف في احياء ذكره بعده .

ثم لا تتم له هذه الاشياء الا بأربع من كسب العبد اعني معرفة الكتابة واللغة و (الضبط) والنحو مع اربع هي من اعطاء الله تعالى اعني القدرة والصحة والحرص والحفظ . فاذا تمت له هذه الاشياء هان عليه اربع : الاهل والولد والمال) والوطن وابتلى بأربع : بشماتة الاعداء وملامة الاصدقاء و (طعن) الجهلاء وحسد العلماء ، فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله في الدنيا بأربع : بعز القناعة وبهيبة النفس و (حياة الابد) واثابه في الآخرة بأربع : بالشفاعة لمن اراد من اخوانه وبظل العرش يوم لا ظل الا ظله ويسقي من اراد من حوض نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، و(بجوار) النبيئين في اعلى عليين في الجنة . فقد اعلمتك يا بني مجملا جميع ما كنت سمعته من مشايخي متعرفا في هذا الباب فاقبل الآن على ما قصدتني له أو دع .

قال : فهالني قوله ، فسكتت متفكرا واطرقت (نادما) فلما رأى ذلك مني قال : (والا تطق) احتمال هذه المشاق كلها فعليك بالفقه (الذي) يمكنك تعلمه وأنت في بيتك قار ساكن لاتحتاج الى بعد الاسفار ووطء الديار وركوب البحار وهو مع ذا ثمرة الحديث وليس ثواب الفقيه (دون) ثواب المحدث في الآخرة ولا عزه بأقل من عز المحدث .

قال : فلما سمعت ذلك نقض عزمي في طلب الحديث واقبلت على دراسة الفقه وتعلمه الى أن صرت فيه (فقيها) متقدما .

ووقفت منه على معرفة ما امكنني من تعلمه بتوفيق الله تعالى ومنته) (فلذلك) لم يكن عندي ما أمليه على هذا الصبي يا أبا ابراهيم ، فقال له ابو ابراهيم : انهذا الحديث (الواحد) الذي لا يوجد عند غيرك خير للصبي من الف حديث يجده عند غيرك .»

هذا هو نص رباعيات البخاري في وصيته كما وردت في غنية القاضي عياض مع مقابلتها بالنص الوارد في ارشاد القسطلاني رحمه الله .

4) تخريج رباعيات البخاري من وصيته وتقسيمها :

من قراءة وصية البخاري ومراجعتها ودراستها نجد القاضي عياضا

يرويها عن شيخه ابن العربي عن ابي العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني وهو الذي حدث بهذا الحديث سماعا وتلقيا من الامام البخاري وهو يتضمن رباعيات الامام وشروطه لطالب الحديث ليصير محدثا كاملا.

ونجد هذا النص يحتوي على ست عشرة رباعية ، منها تشتمل على اربعة امور ويبتدىء النص بعد الاسناد وذكر ورود ابي العباس الوليد بخاري سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ومرافقة ابي ذر التميمي لأبي الختلي عند زيارته لابي العباس الوليد وسؤاله اياه ان يحدث «الصبي» يعني أبا ذر التميمي ـ بسماعه من شيوخه وجواب الوليد لأبي ابراهيم انه قصد الامام البخاري . عندما يبلغمبلغ الرجال وتاقتنفسه الىمعرفةالحديث ورواية الاخبار ، زائرا له ومتعلما وسائلا عما تاقت نفسه الى معرفته ثم جواب الامام البخاري له :

بأن شرط الدخول في أي أمر من الامور : هو معرفة حدوده والوقوف على مقداره . وسؤال الوليد الامام البخاري عن بيان حدود ومقادير ما سأله عنه من معرفة الحديث ورواية الاخبار .

وجواب ابخاري له : بأن الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه حتى تتوفر فيه شروط وأمور تضمنتها الوصية والتي نخرجها حسب ترتيبها وسياقها في النص مفصلة مرتبة :

1) ان يكتب اربعا :

اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم مع شرائعه .

اخبار الصحابة ومقاديرهم .

اخبار التابعين واحوالهم .

اخبار سائر العلماء وتواريخهم .

2) مع أربع :

مع اسماء رجالهم ، وكناهم ، وامكنتهم ، وازمنتهم .

3) كأربع :

كالتحميد مع الخطب . والدعاء مع الرسل ، والبسملة مع السورة

والتكبيـر مع الصلوات .

4) مثـل اربـع :

مثل المستندات والمراسلات والموقوفات والمقطوعات .

5) فـي اربـع :

في صغره وفي ادراكه ، وفي شبابه وفي كهولته .

6) عنـد أربـع :

عند شغله ، وعند فراغـه ، وعند فقره ، وعند غنـاه .

7) بـاربـع :

بالجبال ، والبحار والبلدان والبراري .

8) عـلى اربـع :

على الاحجار والاصداف والجلود ، والاكتاف .

9) عـن أربـع :

عمن هو فوقه وعمن هو مثله ، وعمن هو دونه ، وعن كتاب ابيـه يتيقن انـه بخـط ابيـه .

10) لأربـع :

لوجه الله تعالى طالبا لمرضاته .

والعمل بما وافق كتاب الله تعالى منهـا .

ونشرها بين طالبيها ومحبيهـا .

والتأليف في احياء ذكره بعد موتـه .

11) ثم لا تتم له هذه الاشياء الا :

باربـع من كسب العبـد وسعيـه .

معرفة الكتابة ، واللغة ، والصرف ، والنحو .

12) مع أربـع من عطاء الله تعالـى :

القـدرة ، والصحة ، والحرص ، والحفـظ .

13) فـاذا تمـت لـه :

هان عليه أربع . الاهل ، والولد ، والمال ، والوطن .

14) وابتلى بـأربـــع :
شماتة الاعداء ، وملامة الاصدقاء ، وطعن الجهلاء ، وحسد العلماء .

15) فـاذا صـبــر عليهـا .
اكرمــه الله في الدنيـا باربع :
عز القناعة ، وهيبة النفس ، ولذة العلم ، وحياة الابد .

16) واثابــه في الآخــرة بأربـــع :
بالشفاعة لمـن أراد من اخوانه ، وبظل العرش يـوم لاظل الا ظله .
وبسقي من اراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم . وبجوار النبيئين في إعلى عليين في الجنة .

وبعد ان اجاب الامام البخاري سائله عمـا اراد وتفصيله لشـروط المحدث وما يلزمه معرفته والالمام به اخبره بأن عليه ان يقبل كل ما سمعـه منه اذا اراد أن يصير محدثا والا فليترك هذا الامـر .

ولكأن الامر هال سائل البخاري فاطرق متفكرا متأدبا مستعظما مـا ذكره الامام الذي شعر بذلك فخيره ان ثقل عليه الامر ولم يطقه أن يقبل على تعلم الفقه فذلك أهون بكثير وأقل مشقة خصوصـــا وهو لايكلف سفـرا ولا رحلة ولا ركوب بحر واغتراب وانه ثمرة الحديث وليس ثوابه وعزه بأقل من ثواب المحدث وعـزه .

تعليـق عـلى الوصية الرباعيـة

وهذه الوصية الادبية الجليلة ، وثيقة ذات شأن لقيمتها التاريخيـة والعلميـة .

فمـن النـاحيـة التـاريخيـــة

1 ـ تضع بين ايدي الدارسين للامام البخاري مزيد اضاءة كـاشفة عـن ملامح شخصيته وخطواته على الطريق طالبا للعلم ، ومعلما.

2 ـ وتضيف الى المعروف عن كتابه (الصحيح) فكرة واضحة عما أتيح لهذا الكتاب من جهود فذة وآفاق رحبة ، واصالة راسخة ، وأدراك عميق لجلال موضوعه وحرمة الامانة الصعبة التي احتملها جامع الصحيح .

ومن الناحية العلمية :

3 ـ تأخذ هذه الوثيقة النادرة مكانها بين جهود الرواد من علماء السلف لتأصيل منهج علوم الحديث على ضوابطه الدقيقة الصارمة التي عرفها التاريخ العلمي للمدرسة الاسلامية في ضبط الرواية النقلية وتوثيق الاسناد والشروط التي كان ينبغي أن تتوفر للطلاب الالتحاق بهذه المدرسة.

4 ـ ومنها نستبين معالم الطريق التي عبدها جيل الرواد والخطة المنهجية التي تركها الامام البخاري وصية للاجيال من العلماء الذين تتابعوا على حمل الأمانة ووصلوا بعلوم الحديث الى المستوى الذي يعده التاريخ العلمي من مفاخر الأمة الاسلامية وأجل عطائها لأصول المنهج . وأترك لاستاذي الجليل الرحالي الفاروق بيان القيمة العلمية لهذه الوصية فقد كتب معلقا عليها قال (51) :※

« انه من أبدع اللطائف وأفضل الطرائف أن تكون الرباعيات التي رواها غير واحد من مشاهير المحدثين عند الكلام على القصد والاقبال على علم الحديث الشريف ـ أن تكون هذه الرباعيات من عصارة أفكار الامام البخاري وتجربة حياته وتراث مدرسته رحمه الله فهي أقوم وصية وأعظم نصيحة لمن أراد أن يبلغ في هذا الفن العظيم مبلغا لا يقل عن درجة الذين يتمتعون بالمهارة في روايته ودرايته كل على حسب قدرته واستطاعته ، وهذه القصة التي تعالمها الناس من قبل و ن بعد صحيحة وثابتة من أولها الى آخرها ليس فيها ما ينكر شرعا ولا ما يعاب طبعا ، ولذلك فانه لا يخدشها ما نقله الشيخ نجا الابياري في حاشية مقدمة القسطلاني عن العلامة السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر انه قال :

---

(51) هذا التعليق كتبه استاذنا الرحالي لصاحب الرسالة مشاركة منه وتقديرا .

(※) التعليق الذي أشار اليه صاحب المقال هو نفسه ورد علينا من كاتبه الاستاذ الجليل الشيخ الفاروق الرحالي معنونا بـ : «تعليق حول رباعيات الامام البخاري» وبما ان صاحب المقال أثبت نصه ، ارتأينا ان نقتصر على المقارنة بين ما ورد علينا من فضيلة الشيخ المذكور ، وما أثبته صاحب المقال ـ المجلة ـ

منذ قرأت هذه القصة وقلبي نافر من صحتها مستبعد لثبوتها تلوح امارة الوضع عليها والتلفيق فيها وانه لا يظن ان محمد بن اسماعيل رحمه الله يقول . هذا . واما قوله ان هذا الحديث الواحد الذي لا يوجد عند غيرك خير من الف حديث نجده عند غيرك ، فكذب لامزيد عليه ا هـ .»

قلنا لا يؤثر هذا الكلام في صحتها ولا يقدح بمجرده في ثبوتها ، لعدة وجوه :

أحدها : أن هذه الرباعيات قصارى أمرها ان تحمل المجد على العمل بما فيها اذا اراد هذا المجد ان يكون قدوة يشار بالبنان اليه ، وتعقد الخناصر عليه وليس المعنى في النظر الصحيح انها تنفر عن طلب الحديث والاتصال به . بل هي على العكس من ذلك ، تحرض على انتهاج طريقة مجدية وتبشر القوم بنهاية طيبة .

وثانيها : ان هذه النصيحة التي قدمها الامام البخاري رحمه الله لمن سألها وطلبها هي ترجمة صريحة ـ لما حفلت به حياته من عنايةوذ شساط في اكتساب الحديث والاشتغال بمادته والبحث عن اهم قادته ورجاله وخاصة أولئك الذين اشتهروا بجمع روايته والمحافظة على سلوكه وسيرته أو عرفوا بالرغبة في رفع اعلامه واعلاء اسناده والتفقه في احكامه ومعانيه وقد يضطر طالب الحديث الى ملاطفة من هو مثله ومصانعة من هو دونه ، فيغالب نفسه بنفسه ، ويحملها على الاعتراف بفضله ، حتى لا تفوت الفرصة وتضيع المتعة بسبب الترفع والتكبر الذي لا يناسب مقام العلماء عامة ومقام المحدثين خاصة ، والذي يستنكف من الاخذ عن علماء زمانه ، لا يحصل غالبا على شيء من امانيه ـ ولما احاط بها من خوض الامتحانات وصوغ المؤامرات التي تنصب على كل من بني بنايته وابرز نباهته في علم ينضر صاحبه ويقصر جاهله وذلك من أعظم المنن وأكبر النعم ، الا ان كل نابه مقصود ، وكل ذي نعمة محسود ، وهذا بحول الله من جملة الامارات التي تجعل حديث الرباعيات ، شيئا واقعا وداخلا في نطاق النصاحة المقصودة والصراحة المفروضة .

وثالثها أن ائمة الحديث سلموا هذه الرباعيات بل ايدوها وأكدوها

فهذا الامام القسطلاني رحمه الله بعد أن ذكرها في مقدمة شرحه ارشاد الساري قال اثرها «وقد قال الخطيب البغدادي الحافظ :

ان علم الحديث لا يعلق الا بمن قصر نفسه عليه ولم يضم غيره من الفنون اليه ، وقال امامنا الشافعي رحمه الله تعالى : أتريد أن تجمع بين الفقه والحديث هيهات ا هـ ؟»

فكلام الامام الشافعي والخطيب البغدادي رحمهما الله موافق لرباعيات الامام البخاري من حيث التحضيض على الاتجاه الى علم الحديث، والتشمير عن ساق الجد في طلبه .

وأما القول بأن هذا الحديث الواحد الذي يوجد عندك خير من الف حديث يوجد عند غيرك فلا ينبغي أن يحمل على الكذب والزور بل على المبالغة في الكثرة ، كما يقول الانسان وقد كرر المجيء اليك ـ جئتك ألف مرة ـ والمبالغة باب من ابواب البلاغة ، فمثل هذا الكلام يقبل ويحمل على قصد المبالغة ، والسياق يعضده ويشهد له ، وحمل كلام الناس على محمل حسن خير من حمله على شيء لا يليق به .

على أن ذلك ليس من قول الامام البخاري صاحب الرباعيات وانما هو من كلام الراوي وأيضا فلنا أن نقول : اذا أخذت هذه الرباعيات بمعناها الصحيح اي من حيث انها تهييء مدرسة اسلامية ناهضة ، وعلماء مبرزين فيشؤون الحديث، نجد اناطلاق الحديث الواحد عليها وهو الذي يقابلبعدد من الاحاديث مجرد اطلاق ظاهري وشكلي ، وقد تقرر أن العبرة بالمعاني لا بالألفاظ ، وبذلك ان شاء الله ينتفي الاعتراض ، فانك اذا نفذت حكم الرباعيات امكنك بمعونة الله أن تعرف أو تحفظ ألف ألف حديث مثلا ، والوقوف على هذا العدد الكبير خير من الوقوف على ألف حديث مثلا تأمل .

وبعد ، فان هذه الرباعيات لازمة لكل من أراد أن يسلك طريقا قاصدا لهذا العلم النبوي الشريف لزوم الحمدلة للخطبة والبسملة للسورة ، والدعاء للوسيلة ، والتكبير للصلاة ، واذا صبرت على ما يلقاك من

المحسن في سبيل تحقيق هذه المعاني الرفيعة اكرمك الله في الدنيا بعـــز القناعة وهيبة النفس ولذة العلم وحياة السعادة ، وأثابك في الاخـــرى بالشفاعة لمن اردت ، وبالسقي من الحوض لمن اخترت ، وبظل العرش يوم لا ظل الا ظله وبمجاورة النبيئين في الجنة وذلك فضله .

وهيهات ان يكون المحدث راسيا وراسخا في هذا العلم وهو لا يتوفر على المعاني المطوية في رباعيته ، ولايخدمه بعزم وحزم طول حياته ، ولا يرحل الى اقتطاف أنواره ولا يسرع الى اقتطاف أزهاره ولا يصبر عـلى المنغصات التي تنزل بساحتـه .

نسأل الله العظيم أن يجمع لنا ولكم بين التنسيق والتوفيق ، وأن يهيئنا للطريق اليسرى ويهب لنا السعادة والحسنى ، والله سبحانــــه اعلى وأعلم وأرحم وأكـــرم » .